محاورة مع كتاب

"اتجاه الدين في مناحي الحياة"

"لسماحة السيد محمد باقر السيستاني (دام عزه)"

علي حسين الخباز

"محاورة مع كتاب"

"اتجاه الدين في مناحي الحياة"

"لسماحة السيد محمد باقر السيستاني (دام عزه)"

"علي حسين الخباز"

(1)

حين يكسب المنجز دلائل الثقة بمقدرته الفكرية، يمنحنا فكرة محاورته للولوج الى عمق معناه، وتسليط الضوء على وجوده، وكتاب (اتجاه الدين في مناحي الحياة) لسماحة السيد محمد باقر السيستاني (دام عزه) تمكن من اضاءة سبل الرشاد في مناحي الحياة، مما جعلنا نطمح في حمل هذا القبس نبراساً لمعنى الانتماء، وصدى الروضتين تسعى جاهدة لمحاورة مثل هذه المنجزات الفكرية المهمة، فكان السؤال:

- ممَّ يتألف الدين؟

الكتاب:- يتألف الدين من جزأين: الأول: وهو ما يمثل نواة الدين، وهو من أخطر الأمور التي تهم الانسان، ولاسيما نبأ بقاء الإنسان بعد الممات، ولابد بالتهيؤ لما وراء هذه الحياة، حتى وان لم يبت بصدق الدين، وكان عنده أمر محتمل بالنظر الى أن احتمالية حقانية الدين تساعد على اهتمامه بالرؤية الدينية المحتملة، وأخذها بنظر الاعتبار في حياته العملية.

الثاني: الاتجاهات العريضة للدين مثل: التعامل مع العقلانية العامة والعلم والإلهام والحكمة والأخلاق والإيمان والعدالة والأبعاد الروحية للإنسان والسعادة والحرية الشخصية والقانون والسياسة والمعاصرة.. فإلى أي اتجاه يحرك الدين حياة الإنسان في هذه المناحي في ضوء إثبات هذه الحقائق؟

- ما هي أهمية معرفة الاتجاهات العريضة؟

الكتاب:- هذا البعد في غاية الأهمية من وجهين: الأول؛ كونها ادوات معرفة حقانية أصل الدين وعدمه، ووجود قضاء فطري ينبعث من داخل الإنسان، وله موقف صلب لا يصح تجاوزه.

الثاني: يبين المناحي التي يتعين على الإنسان المؤمن أن يتوجه اليها، فهي تعينه على تشخيص هذه التعاليم، وتعينه على استيعاب أكبر لها، وتشخيص الحدود الفاصلة ليسهل العمل وفقها.

يشير بعض الباحثين المشككين في الدين أنه لا ملزم بحسب العقل بالعناية لاحتمال حقانية الدين، لمؤونته الثقيلة على الإنسان، بالنظر الى آثاره في المجتمع البشري مثل: تهديد التعايش السلمي بين الناس، ونرى لوضوح جري الدين على اتجاه معقول في هذه النواحي ما يبين عدم صحة هذا الاعتذار.

والصحيح أن الدين يثبت وجود اتجاه فطري، وينطلق منه لإثبات حقانيته، وهذا الاتجاه هو الهدى الداخلي المغروس في الإنسان؛ تمهيداً لاستقبال الهدى التفصيلي من خلال الدين، والدين يرتكز على الاتجاهات الفطرية كقاعدة لرؤيته في شأن الانسان.

- المعطيات أو الدلائل لانطلاق الدين من الاتجاه الفطري؟

الكتاب:ـ النصوص الدينية تفي بانطلاق الدين من المناحي السليمة والفطرية شرط ضروري في أي رؤية كونية وفكرية سليمة، وينطلق في أدلته من المعطيات البدهية للعلم، وينبه الدين على توافق انبائه عن وجود الله تبارك وتعالى والدار الآخرة مع تطلعات الإنسان الفطرية، ويجعل نشر الحكمة والأخلاق الفاضلة (زكاة النفس) في المجتمع الانساني غاية عليا للرسالة الالهية، ويؤكد على موافقة سلوك الخالق وتشريعاته للأخلاق الفاضلة، حيث يتصف سبحانه تعالى في افعاله التكوينية بالعدل والمودة والرحمة والمغفرة والعفو، ويجعل من موافقة الرسالة التي جاء بها الأنبياء للهدي الأخلاقي الفطري، دليلاً على صدق تلك الرسالة، و يحث الإنسان على الاستفادة من مقومات السعادة مع مراعاة الحقائق الماثلة والحكم اللازمة والأخلاق الفاضلة.

وبذلك فإن الدين يضمن للإنسان سعادة الدنيا والآخرة، في تناغم بديع بين الإنسان في تكوينه العقلي والنفسي والبدني وبين مقومات السعادة الدنيوية، ليس من مقتضى ذلك ان يتمكن كل امرئ من تخريج أي تعليم من تعاليم الدين على ما يستوضحه من مقتضيات العقلانية والحكمة والأخلاق، فهناك مناطق رمادية حسب الفهم الانساني العام، تحتاج الى أفق أوسع. كما أن الناس لا يدركون بالضرورة الحكمة من كل مادة دستورية او تشريعية في القوانين الوضعية، وهناك من المساحات القيمية مناطق لا يدركها الفهم الإنساني الخاص.

- هل هناك مؤشرات حقانية الدين في مناحي الحياة؟

الكتاب:ـ هذا المنطلق يعتبر بمثابة تحري العقلانية والحكمة والفضيلة والحقيقة على حقانية الدين، اذ كان ذلك متقدما على الإدراك الخاص والعام في المجتمعات التي ظهر فيها الدين، لا يتحلى بها أي مدع كاذب، وتغض الأديان الباطلة عن بعض مقومات الفطرة، وسر جاذبية بعض الأديان للناس هو سلوك قادتها كشخصية السيد المسيح وأمه مريم الصديقة، وفي الإسلام دور شخصية النبي (ص) والإمام علي (عليه السلام) في الإيمان به واليقين بصدقه. ملاحظة: الاتجاهات المكتسبة للدين مما يحدث في أثر التراكمات الزمنية من جهة الاجتهادات المكتسبة للدين، مما يحدث في أثر التراكمات الزمنية من جهة الاجتهادات المختلفة والأعراف الطارئة، لا يتحمل الدين مسؤولية صوابها؛ لإمكان حدوث الخطأ فيها، وإنما يقيم الدين بالمستوى المتمثل في ثوابته واصوله بشكل واضح.

للدين فطرة ضاربة في جذور الانسان، والاسعاف الالهي من خلال نصوصه اليقينية اتجاه معين إلا ان امتداداته التي يكتسبها على الساحة العملية، قد تؤدي الى انحرافه من جهة عوامل مختلفة مثل: الأخطاء الفكرية، والحواجز النفسية، والميول المؤثرة على الادراك الانساني تؤدي الى انحرافها بعض الشيء عن مسارها، مثل: المزاجيات والعادات والمصالح الخاصة وغيرها من العوامل المختلفة.

&&

(2)

- ما المقصود بالعقلانية العامة؟

الكتاب:- المقصود هو التوازن الادراكي للإنسان، حيث يمثل الخطوط الأساسية للوعي الإنساني، وهي تختلف عن العلم بمعناه السائد؛ لأنها تعني مطلق المعلومات المخزونة في ذهن الإنسان، بما يشمل ما يقف عليه الإحساس او يفضي اليه بفكره، أو ما يطلّع عليه من أفكار الآخرين.

البعض يرى أن مضمون الدين فوق مستوى العقل، فلا يدرك إلا من خلال المشاعر القلبية والوجدانية، والبعض الآخر يرى أن الدين يحيا في العقل ومعطياته؛ لأنه يطلب الإذعان بأمور مخالفة للعقل، من قبيل التسليم بأمور متناقضة أو مخالفة للبديهة والاحساس، والدين في حقيقته يرتكز على العقلانية العامة لدى الإنسان، ويستند في طلب الإذعان به على هذه العقلانية:

أولاً: حث الدين على التعقل والتفكير والتدبر واتباع البرهان، ورفض الأساليب عبر الموضوعية للفكر في شأن الدين وسائر اهتمامات الحياة مثل: التقليد، والتأثر بالرغبات، ونبه عن رصد مؤشرات الواقع، وعدم جدية الإدراك الارتقائي الناشئ عن رغبات مسبقة.

ثانياً: اعتماد الدين على القضايا النظرية التي تمثل بديهيات الإدراك البشري مثل: عدم صلاحية البشر والأصنام للإلوهية.

ثالثاً: نبه الدين على أن هذه الادراكات الدلالية الكامنة فيما يجده حوله من الكائنات، ومن الأساليب التنبيهية: "أو لم يروا.. أفلا يعقلون" و(التذكير): "وما يذكر إلا أولو الالباب.. او لمن أراد ان يذكر.. أو أراد شكورا.. ليذكّروا.. تبصرة وذكرى.. انها تذكرة..".

والتنبيه على المنطقي الفطري، ومن أهم مفاصله علاقة العلم بالأخلاق: مثل الصدق، الأمانة، التواضع والإنصاف والعدل، في مجال المعرفة ومجال السلوك؛ لأنها تنير عقل الانسان، دون ان تحول الحواجز النفسية عن إدراكه على نحو سليم: كالغشاوة على الأبصار، والمرض في القلوب، والزيغ والوقر في الاذن والأهواء.

ونجد في التشريعات الدينية مظاهر اهتمام الدين بالوقار العقل الإنساني والعقلانية العامة هي مرتكز للدين وفق الخطاب الديني، وأشاد بالعقل و بالموازين الفعلية والقلبية العامة.

- وبماذا اختلف اهتمام الدين تجاه العقلانية العامة عن اهتمامه تجاه العلم؟

الكتاب: العلم هو اكتشاف السنن التفصيلية في الحياة والظواهر الكامنة خلفها والقواعد الفيزيائية والكيمائية وهو متروك للجهد الإنساني، حيث اريد له ان يكتشف هذه الحياة بنفسه عبر ما زود به من الدوافع والرغبات العامة. وأما العقلانية العامة، فهي قاعدة الحياة ومراكزها فيما يشهد او يغيب منها، والتي ينطلق منها الانسان لاكتشاف الحقائق، والخطاب

الديني خطاب عام غير موجه الى فئة معينة تخاطب بها دون غيرها غير معنية بقضية L النخب، وهو مهم بنشر العقلانية في الوسط الإنساني، والدين يقوي عقل الإنسان بشكل عام، فيجعله يعتبر بالحوادث.

هناك من يرى أن حقيقة الدين لا تدرك بالفعل بل بالقلب، فهذا ينفي ادراك العقل لتلك الحقائق، هناك حقائق إضافية لا يتأتى للعقل الحدس بها، آفاق الحقيقة أوسع من أن يستوعبها العقل، البعض بهرته القواعد الفيزيائية، لتكون وجميع العلماء يؤمنون أن ما علموه من هذا الكون الواسع شيء يسير، ولا يمكن للإنسان ان يدرك حجم الحقائق، ادراك القلب لبعض الحقائق، ولا يصح للمرء أن ينفي ما لا يجد سبيلا الى إدراكه بالعقل المحض.

القلب يرمز الى مشاعر الانسان، هناك أشياء غامضة يلامسها الشعور الإنساني من غير ان يكون للعقل سبيل الى ادراكها، هناك أشياء يستدل عليها الانسان بالشعور وهناك مشاعر للإنسان نهدي الى حقائق قد لا يجد العقل سبيلا الى اثباتها، البعض يتحدث عن مجافاة الدين للعقل، فهو قد يتحدث عن فهم آخر للدين او تراه ينسب الى العقل نظريات غير محسوبة عليه. - ما هو موقف الدين من العلم؟

الكتاب:- يقع الكلام عن علاقة العلم والدين، والموقف الصحيح ان العلم الصائب هو منطق الدين في مجال اهتمامه وإعانته عليه، تكامل الدين والعلم دورهما في حياة الانسان واعانة كل منهما للآخر في الحقل الذي يهتم به. ان الانسان انما خلق لمكان امتيازه في القدرة على التعلم والتفكير والاطلاع، فهو الغاية المنتظرة من خلق هذا العالم المادي، ليس المقصود به مجرد معلومات ذهنية يذعن المرء بها، بل وقع هذه المعلومات في قلب الإنسان ومشاعره بما يتجلى به في انتظام السلوك العملي للإنسان.ان الدين ليس معنيا ببيان الحقائق العلمية المختلفة لذاتها، مثل قواعد الأحياء والكيمياء أو الفيزياء، الإنسان زود بالرغبات المحفزة على العمل لاكتشاف سنن الكون واستثمارها في توفير رغباته، وانما شأن الدين ان يبلغ الإنسان بالحقائق الكبرى للحياة، ويقوي العلاقة العامة لإعانته. هناك من يرى انه لا علاقة بين الدين والعلم على أساس ان الدين يتحدث عما وراء الطبيعة، وهو خارج عن حدود العلم والبحث العلمي، نعم كان الدين من قبل يفسر وجود الكون و الكائنات والظواهر الكونية، العلم الحديث تمكن من تفسير ذلك كله، واستغنى عن التفسير الديني. ويرى طرح آخر ان الدين يجافي العلم من جهات عدة، منها أنه يدعو إلى الإيمان بأمور وردت في مخالفة للمعطيات العلمية، وهناك أيضا من يرى ان العلم جزء من رسالة الدين فيه بيان كثير من الحقائق العلمية في العلوم المختلفة، بل قيل إن القرآن الكريم له باطن يحتوي على جميع العلوم الإنسانية وغيرها، وإن الواقفين على اسرارها يطلعون من خلاله عليها، والموقف الصحيح تكامل الدين والعلم بمعنى الانتفاع المتبادل بينهما، إن للعلاقة بين العلم والدين نفع الدين للعلم، وانتفاع الدين بالعلم

&&&

(3)

- ما نفع الدين بالعلم؟

الكتاب:ـ عنايته في تحفيز العقلانية العامة في الإنسان، ويعتمد على المنطق الفكري السليم، ويوجه الى التأمل في الكائنات والأشياء، ويفند الخرافات التي لا برهان عليها، وما تحقق بفضل الإسلام، وما تضمنته من توجه الى العقل والمعرفة من النهضة العلمية في المجتمع العربي والإسلامي، حيث كانت البلاد الأوروبية تعاني انحطاطاً علمياً، ولم يعتبر في يوم من الأيام الإيمان بديلاً عن العلم في أي حال.

- لدينا سؤال قد يختلف بعض الشيء عن سياق الموضوع، لكنه يبقى في جوهر المعنى، روي عن النبي (ص): "إذا حكم الحاكم فاجتهد فأصاب، فله أجران، وإذا حكم فاجتهد فأخطأ، فله أجر واحد؟

الكتاب:ـ انما يكون الأجر على الاجتهاد الخاطئ اذا كان قد بذل جهدا لم يتضرر به احد، واذا تضرر به أحد كما لو قتل انسان خطأ، فقد جهل جهلاً كبيراً قبيحاً، فكان عليه الكفارة، فمن اعتقد مثلا أنه إذا قتل جماعة من الناس خطأ واشتباها، فمن الخطأ ان نعتبره مأجوراً.

- ما هو أثر الدين على الفلسفة والعلوم؟

الكتاب:ـ الدين فسر الكثير من الظواهر الكونية، وهو أمر دلت عليه النصوص الدينية، حيث ارشد الإنسان الى الاطلاع على القواعد والسنن الكونية، فأصل وجود العالم المادي انه يحتاج الى تفسير ولا تفسير له, بناء على ما يرجح من حدوثه إلا وجود الله سبحانه وتعالى خالق الحياة, وظاهرة الحياة في العالم المادي، ولا تفسير لها الا وجود خالق للحياة، ومن ثم تفسير الظواهر التاريخية الخارقة مثل: الوحي, معاجز الأنبياء, كرامات الأولياء, انفلاق البحر لموسى وولادة المسيح عيسى بن مريم من غير أب، بينما يؤمن به كثير من الناس، ويعتبرونه من الحقائق التاريخية. الدين يفسر هذه الأمور، فيدخل مما وراء الطبيعة, الرؤية الدينية لا تخرج عن حد النظريات او الفرضيات التي يمكن ان تطرح، ويكون لها شأن كخيار وارد في التفسير العلمي، فعلم المعرفة الإنسانية يضمن للدين الاهتمام بالمعرفة النظرية في بعديها النظري والعملي، وقد عارض الدين الكثير من الخرافات الشائعة مثل: ألوهية الاصنام والبشر والحيوانات والنجوم، كما عارض وجوه التشاؤم والتفاؤل، ونفى وجود حقيقة عينية للسحر واعتبره ضربا من التخيل ليس إلا, وقد عارض ممارسته والارتزاق به، ورأى وجود الجن ككائن فاقد الكثافة المادية، كما رأى حقانية بعض القصص الرائجة على تصحيح لها ومن مظاهر الأوهام والخرافات ربما سعيا للارتزاق به، وقسم منها من افرازات المزاج الإنساني فأصول القوى النفسية للإنسان, النفس الإنسانية تتمتع بالعقل ونوازع الحكمة والضمير الأخلاقي والرغبات الاعتيادية, وكون البنية النفسية للإنسان مصوغة للتعاون مع الحقائق الكبرى للحياة التي جاء بها الدين،

وتوجيه الإنسان الى المسار القانوني الصحيح في المساحات القانونية المركزية، فإن من غايات الدين إصلاح سلوك الإنسان وتهذيبه, إبداء المسار القانوني الصحيح للإنسان وفق المنظور الفطري أمر مودع في نفس الإنسان وخطبته من خلال قوة الضمير الإنساني.

وللدين دور مهم في توعية الإنسان في الشأن العلمي، وهناك أيضاً مساحة لانتفاع الدين بالعلم في مسعاه، حيث ان العلم ينتهي في مسعاه باكتشاف سنن الحياة الى البحث عن نشأة الكون والحياة والظواهر الخارقة، ويلتقي في هذه النقطة في الدين التقاء واضحاً، والعلم كلما تطور كشف عن ابداع ونظم اكبر من الكون، مما يثير عظمة الصانع، ويفند العلم جملة من الخرافات والأوهام التي حاولت تفسير بعض الظواهر لحياة الإنسان، وهذا الامر يساعد الدين في مسعاه لإزالتها تقوية للعقلانية العامة والسلوك الحكيم، وادعى بوجود أمور غير قابلة للرؤيا، وإنما يشعر بها الانسان من خلال آثارها، كما هو الحال في الجاذبية والمادة المظلمة التي يحدس بوجودها. ان العلم يوفر الغطاء الفني للمتطلبات العقلانية العامة، بما يساعد على الإقناع بها ودفع الشبهات والعلم بوحي من العقلانية العامة، والضمير الإنساني يوجز النظريات المناسبة للمجالات الاجتماعية والسياسية، ويطور أدوات استثمار الطبيعة بالصناعة والزراعة وهو بذلك ساعد على تحقيق السعادة التي هي من جملة مقاصد الدين في الحياة، وساعد الإنسان على فهم نصوص الدين التي حملت معاني متوهمه بالنظر الى المستوى الضعيف للعلم في الأزمنة السابقة.

والعلم ينفي أموراً خرافية الصقت في الدين؛ نتيجة لامتزاجه بأفكار الحاضنة الدينية المتضمنة لبعض وجود الاختلاف، هناك عوارض سلبية تقع في المجتمع العلمي نتيجة نقص الأدوات الادراكية للإنسان، مما يؤدي الى كونه عرضة للخطر، فلا يصح مما يظن من أن من شأن العلم ان يحل محل الدين، وان الأمور تؤدي الى تقلص مكانة الدين في العقول والقلوب, من عدم وصول العلم في تفسير نشأة الكون الى نتيجة محددة، وان كان هناك اتجاه يرجح الترتيب الفعلي للكون من خلال الانفجار العظيم، ولكن الواقع أن الترتيب الفعلي للكون أمر, ونشأة المادة وحدوثها أمر آخر، فلا تفسر الثاني الا للصانع القدير.

ولأن تفسير حدوث الكائنات على أساس التطور الطبيعي من خلال خلية واحدة او من خلايا وهبت الحياة، فتطورت الى هذه الاشكال من النباتات والحيوانات ليس تفسيرا راجحا لعدم وجود شواهد تدل على امكان التطور في هذا المستوى الهائل، واما ان ينشأ من خلية واحدة نباتات وحيوانات بحرية وبرية وانسان بهذا التنوع والتفصيل، فهو أمر لا دليل تجري عليه بحال, فليس من الممكن ادعاء ان العلم قام بفك ألغاز الحياة.

- هناك من يلقي اللوم بالتأخر العلمي؟

الكتاب:ـ هذا الطرح مبني على أساس أن الدين في رأيهم يفسر كل الأشياء والظواهر التي يجهل الانسان أساسها بأنها من فعل الله سبحانه وتعالى، فاستراح اهل الدين الى هذا التفسير الذي هو المنهج العلمي الموجب لاستكشاف السنن الكونية،
واستثمارها في منفعة الإنسان، بينما الحقيقة ان نسبة الكون و الكائنات والظواهر المختلفة الى الله تعالى لم يكن على أساس ظواهر عارضة على حد المعاجز التي اتفقت للأنبياء بل كان على أساس تحفيز ما فيها من شحنات دلالية على وجود الله تبارك وتعالى, وإن الدين أغرى الانسان في التوغل في الاستدلال العقلي الفلسفي الذي يؤدي الوقوع في الأوهام، حيث احتج على وجود وما وراء الطبيعة من خلال وجود الطبيعة، وبذلك اسهم في تقلص المنهج التجريبي والاستقرائي للعلوم الطبيعية، بينما الحقيقة ان الدين اعتمد على البديهيات العقلية الفطرية التي لا تحتاج الى بحث واستدلال نظري في اقناع الإنسان بها، ولم يعتمد على المنهج الاستدلالي النظري لعدم الحاجة إليها.
- نجد ان البعض يسقط إشكالات شمسية في القرون الوسطى على الدين الإسلامي؟
الكتاب:ـ من الخطأ العلمي ان نحسب تعامل رجال الكنيسة مع العلم، وقد ورد في الدين نفسه ذنب فئة من يدعي تمثيله بإغواء الناس، وأكل المال بالباطل ومن المؤسف ان هذا الامر اصبح جزءا من الذاكرة التاريخية للإنسان في الغرب, مما أدى الى سقوط الثقة بالدين من غير أساس موضوعي، فإن للحوادث المريرة التي تقع في اثر الاختلافات الفكرية والمعرفية والتعلق في ذاكرة الإنسان آثاراً سلبية ملحوظة على مواقفه اتجاه قضايا ذات صلة بها، وقد يكون من اللافت ان يسري هذا الشعور اتجاه الدين بمعارضة العلم الى فئة من المسلمين في حين لم تقع مثل هذه التجربة في التاريخ الإسلامي.

&&&

(4)

- ما علاقة الدين بالحكمة؟
الكتاب:- أولاً علينا أن نعرف أن العلم هو انكشاف الواقع للإنسان، وأما الحكمة فهي وقع هذا الانكشاف، مَنْ علِمَ بالضرر علم، وإن لم يجتنبه، فهو وإن وُصِفَ بأنه عالم الا انه ليس حكيماً، والعلم نور يقع في قلب الإنسان، والدين يهتم بالحكمة، جعل الله الحكمة غاية لبعث الأنبياء والحكمة، هي روح الوجود ونظامه في كل مفاصله، والدين يساعد على تسمية الحكمة لدى الإنسان، هناك خصال فاصلة يقضي بها الضمير الأخلاقي, والمشاعر الأخلاقية ضمان للمصالح النوعية في الحياة ومن وجوههن:
المصلحة النوعية: بمعنى أنها انفع للنوع الإنساني ولمصلحة الفرد، فهي تعود بالبركة, والظلم يضر بصاحبه، وقد تضمّن التشريع الديني الكثير من الفضائل، ويقوي باب الأمل لصاحب السلوك الصائب بأنه يبلغ درجة اليقين، وضمان مستوى العدالة في سنن الحياة، فلن يفلت الظالم من جريمته، ويتضمن النص الديني وصايا أئمة الدين: كالمسيح عيسى ابن مريم, ونبي الإسلام (ص)، والإمام علي (عليه السلام) لابنه الحسن (عليه السلام)، وهي من جوامع الحكم العامة والحكم المتعلقة بالعمل السياسي، ما جاء في عهده الى مالك الاشتر. وفي قسم الحكمة من نهج البلاغة مجموعة بديعة من الأقوال الحكيمة له (عليه السلام)، ومن الجائز ان يكون بعض الحكماء المعروفين في الأمم المختلفة مثل (بوذا, زرادشت) في الأصل أنبياء الهين، ولكن حُرّفت تعالميهم تدريجياً، حتى أصبحت اديانا وثنية، فهناك الادراك العقلي السليم الذي يتأمل العمل من دون حواجز نفسية تحول دون سلامة الإدراك. تشخيص مقتضيات العدالة والفضل من خلال الضمير الأخلاقي، حسن السنن التكوينية والاجتماعية وهو يقتضي تشخيص السنن على وجه عام، النزوع الى الحكمة نحو شعور فطري تجاه العمل الحكيم، فالإنسان لا يدرك السلوك الحكيم وحسب، بل يجد من نفسه حافزاً اليه أيضاً، وينتفع هذا النزوع بدوافع ونزعات فطرية منها: الضمير الإنساني فانه ينزع الى القيم الأخلاقية، ومنها الرغبات الاعتيادية، فإن الاستجابة المعتدلة نافعة للإنسان وموحية لسعادته. الدين يخاطب الفهم العام المباشر، وبذلك يكون خطابه من عوامل التثقيف والتربية الاجتماعية العامة, الحكمة ضالة المؤمن أخذها ولو من اهل النفاق، والدين يقرب القلوب الصالحة للاتصاف بالحكمة والرغبة تكسب رحمتها من ادراك العقل لها، والعقل بطبيعته قوة هادئة، فلذلك تهيمن الرغبة على مركز القرار في النفس، وتزيح العقل عن موقع التأثير، والدين نبّه على ضرورة التأني والتريث في مقام اتخاذ القرار، ونهى عن العجلة والاسترسال.

والإرادة الحكيمة ترجح كفة النزوع الحكيم في مقابل الرغبات الأخرى. النزعات الأخرى ذات شحنة تأثيرية مماثلة في النفس، بل هي اكبر شحنة من النزوع الى الحكمة، والدين له دور التأثير على الادراك والمشاعر والدوافع الباعثة عليه، نلاحظ أن للدين دورا كبيرا في إشاعة روح الحكمة وانبثاق الحكم والتثقيف بها.

- وما هي علاقة الدين بالأخلاق؟

الكتاب:- الأخلاق الفاضلة ذات قيمة فطرية كبيرة، وهي جزء لا يتجزأ من الكيان الداخلي للإنسان، والذي يعبر عنه بالضمير والوجدان والأخلاق على مستويين الزامي تتوقف عليه النظم العامة، وهو الذي ترجم الى قانون غير الزامي، تكون رعايته فضيلة إنسانية مثل التبرع للفقراء والمعوزين، ويمكن التعبير عنه بمستوى الفضل أن الدين يبتنى في اصله على منظومة أخلاق فاضلة فطر عليها الإنسان، ويقويها ويعمقها وينتفع بها من قبيل العدل والإحسان والعفو والعفاف وعدم الاعتداء والوفاء، وسائر القيم الأخرى، وذمّه للأخلاق السيئة من قبل الظلم والاعتداء والخيانة والفحشاء وغيرها.

إن هدف الدين التعليم والتزكية، ولذلك اهتمّ الدين بالأخلاق الفاضلة، ما يمكن ان يشارك الدين هو بعض المناهج غير المبنية على الدين: كرعاية المعروف، والدين يوافق اغداق العقلاني العام، وإن البنية الصحيحة للتشريع هي القيم الفطرية بل الدين وفق منظوره هو الذي رفع لواء العدالة منذ نشأة المجتمع البشري، ومن دور الدين الاهتمام بالأخلاق الفاضلة. الضمير هو الضابط السلوكي للإنسان ورغباته بين خيراته من الحياة والعقل القادر على استكشاف الأشياء بالفكرة، تعميق الدين بقيمة الفضيلة، والدين يؤكد على التهيؤ لمراعاة تعاليمه بالأخلاق الفاضلة مثل: اليقين والحلم والصبر والشكر والعفاف بما يعني الشعور الأخلاقي، ومن ثم تعزيز الدين لمراعاة الفضيلة في الجانب الفردي، وبذلك ظهر تبني الدين لتقوية روح الأخلاق والفضيلة, سعادة الإنسان منوطة بالمعرفة والأخلاق الفاضلة، ومن شأن التعاليم الدينية أن تؤدي دوراً كبيراً في المدنية والصلاح الاجتماعي. انتفاع الدين بالأخلاق الفاضلة، فهماً وتذوقاً وسلوكاً، وهكذا كان إلصاق حملة الدين بالخلق الفاضلة في طول التاريخ منبها فطريا ان الدين يقوي منظومة الأخلاق الفاضلة، وينمّيها، ويتكامل معها.

وتصميم الدين مبدأ الأخلاق لخالق هذه الحياة، مما يعني ان الجانب العاقل من الوجود يتبنى النظام الأخلاقي، وهو متصف بالعدل والعفو والرحمة والرأفة والفضل والمغفرة والمودة، يقدر جهد الإنسان في هذه الحياة، ويقدر انفاقه، ويشكره على هذا الإحسان باضعاف الاجر له، فهو يقابل الاحسان بالاحسان.

وهناك من يرى ان الأخلاق مرهونة بالدين، وهي نتاجه، فلا أخلاق من دون الدين، ومنهم من يرى صدق الدين ويجعل من هذا الانطباع حجة لحقانية الدين، وعدم استغناء المجتمع الإنساني عن الانطباع حجة لحقانية الدين، وعدم استغناء المجتمع الإنساني عن الأخلاق، ومنهم لا يقرّ بالرؤية الدينية.

والقيم الأخلاقية معان تخيلية يلقن بها الإنسان وفق الغايات الاجتماعية المنظورة بها من تحصيل منافع ودفع ضرر، وقد حكي عن بعض من أنكر الدين انه انكر حقانية الاخلاق واعتبرها كذبة يقنع الإنسان نفسه، وللدين اثر كبير في تعميق الأخلاق وتفعيلها، فهو ظهير قوي من خلال تعميقه وتوصيف آثاره كل انسان عاقل يجد من نفسه ما لم يبتلَ بالمبالغة في الشكل، أنه مزود بالهدي الأخلاق كذوق رفيع.

نعم الذوق الأخلاقي الذي زُوِّد به الانسان ليس بتلك الدرجة من القوة، بحيث يكون سائغاً له دوما الى مقتضاه، بل تنازعه دوما في التأثير على قراءة الرغبات المادية، ولعلم قوة الرغبات المادية في الانسان على العموم اكثر من قوة الضمير الأخلاقي.

والبعض يرى ان الدين ينحو منحى المثالية بالأخلاق، بمعنى انه يهتم بالقيم الأخلاقية فوق ما تستوحيه الوجه الأول أنه يهتم ببعض القيم الأخلاقية غير الملزمة، ويجعلها ملزمة لتكون جزءا من القانون الإلزامي الشرعية مثل تحريم الكذب غير الضار، او فرض بعض القيود لأجل العفاف، ليس هناك عقوبة دينية شرعا على مخالفة الحكم الإلزامي، لا هناك عقوبة على مجرد الكذب او الغيبة والسخرية أو كتمان الشهادة او السب او ترك الصلاة والصيام والحج.

&&

(5)

- ماذا يعني الإيمان حسب مفهوم الدين؟
الكتاب:ـ هناك عناصر مطلوبة في الإيمان:
أولها: العلم الذي به يحصل على الصورة الكاملة للوجود.
ثانياً: الإذعان القلبي بأن يذعن الإنسان بالحقيقة التي يعلم بها.
- وماذا يعني الجحود بهذا المعنى؟
الكتاب:ـ هناك جحود ظاهري مقام للابراز الخارجي مقرون بالإذعان الداخلي, والاذعان الداخلي يعني أن لا يسلم الانسان بينه وبين نفسه بالحقيقة التي وقف عليها, كثيرا ما يتفق أن يكابر الانسان نفسه داخلياً في تقبل تلك الحقيقة؛ لكونها أمراً مؤملاً أو لكونه يعتقد به خضوعاً أو ذلاً لأسباب أخرى، والابراز الظاهري بها بأن يعترف بالحقيقة التي علم بها وأقرّ بها في نفسه.
- ما هي ضرورة الإيمان؟
الكتاب:ـ هناك ضرورة الايمان للإنسان ودوره في حياته والإيمان بالدين، واذا كان السؤال يبحث عن ضرورته واهميته للإنسان، فنقول: إن المراد في الدين هو البت في الموقف الصحيح في الحقائق الثلاثة الكبرى:
الأولى: وجود الله سبحانه وتعالى كصانع ومدبر للكون والكائنات.
الثانية: بعث الله سبحانه وتعالى رسالة العباد تتضمن إرشاده الى آفاق الحياة وسننها والمنهج الذي يجب عليه العمل به.
الثالثة: بقاء الإنسان بعد هذه الحياة مرهوناً بأعماله فيها، إن خيراً فخير، وإن شراً فشر.
هذه الحقائق الثلاث مترابطة بعضها مع بعض، كائن خلق في الأصل كأفضل كائن مادي، وهب له العقل والضمير والمشاعر المختلفة، فتفضي به المعرفة الصائبة والسلوك الصحيح في الحياة الى السعادة البالغة، ويفضي به الجهل والخطيئة الى العناء والشقاء.
البعد الأول الأخلاقي: وهو الإيفاء بحق الله تعالى، والتصديق بالرسالة التي بعثها للعباد.
البعد الثاني: هو صلاح الانسان، ذلك بالنظر الى تعرضه للاختبار المعرفي والأخلاقي في هذه الحياة، وانعكاس ذلك على مدى سعاته وعنائه في هذه الحياة.
- ما هي مراحل الإيمان؟
الكتاب:ـ المرحلة الأولى البحث عن حقانية الدين، وتحري الدين الحق، والمرحلة الثانية لزوم اذعان الإنسان بالحق، بعد الوقوف عليه الى الادراك العقلي، والتصبر جزء من الثقافة العامة اللازمة أمر عقلاني.
- لماذا لا يقدر الدين مساعي سائر الاعتقادات الباحثة عن الحقيقة؟

الكتاب:ـ من الطبيعي ان يوجه الدين الى أصول الحقائق، ويمنع من العقائد المصطنعة والمجهولة والمبتدعة واتباعها تلك ضرورة معرفية وتربوية من مقام توجيه الناس، وليس من المتوقع ان يذعن الدين بكل تعاليمه بكل طريقة واعتقاد، وأن يثقف على أن يحتملوا الخطأ في ما يبلغه الدين أو الصواب. ومن شأن الدين ان يدعو الى البحث الجاد عن الحقيقة. أما السلم الاجتماعي العادل، فهو من جملة وصايا الدين وأصول تعاليمه، لم يسبب الدين ابداً الشحناء او البغضاء، وإنما سببت ذلك مزاجيات الانسان، واستغلال للدين لاشباعها. - لماذا ينظر الدين الى كل من لم يعتنقه بعين ارتكابه للخطيئة؟

الكتاب:ـ من المبادئ البديهية عن الدين أن التكليف منوط بمقدرة الإنسان واستطاعته من الوصول الى الحقيقة، وبيّنَ ان من أخطأ الحقيقة لا يكون كمن وقف عليها، حتى وان كان معذورا، وذلك امر لا ظلم فيه، بل هو جزء من روعة الحياة وجديتها، أن ينزل كل امرئ منزلته، والدين يحذر من التقاعس في طلب الحقيقة. - لكن الدين ينيط النجاة بالإذعان به، ولا يرضى بسائر الاعتقادات الناقصة أو الخاطئة؟

الكتاب:ـ هذا ما تفرضه طبيعة الحقائق التي يبلغ الدين عنها، أو دوره في ارشاد الانسان بشكل عام الى تلك الحقائق ومقتضياتها، فذلك يقتضي ان يردع الانسان عن الخرافات والاوهام والشبهات الخاطئة، ويوجهه بخطاب واحد وعام يصونهم، فليس المتوقع أن يقنع الدين بعد افتراض حقانيته في ايمان الإنسان بصانع غير الله سبحانه؛ لأنه حديث خرافة ووهم، ولا يؤمن بشركاء لله سبحانه وتعالى من بشر وحيوانات وأصنام ونحوها؛ لأنها أيضا أوهام خاطئة جداً. وليس المتوقع من الدين ان يقبل باعتقاد لا يتضمن الأصول وحقائقها لأنها تفقد الدين مقومات الرأي السلمية. - وما معنى الجزاء الدنيوي في مفهوم الدين؟ الكتاب:ـ أسلوب تربوي رادع يصون الناس من أي انتهاك لحقوقهم، من عاش في بيئة فاسدة يعاقب بالسجن لأجل تربيته، ولأجل وقاية المجتمع ان كان يعتقد الدين او لا يعتقد. العقلاء يذمون صاحب الممارسات الخاطئة، والصفات الوضعية، بغض النظر عن مسميات البيئة التي نشأ منها، كل فرد يتحمل مسؤولية أعماله، فيكون لكل من الناس حظه عند الله سبحانه وتعالى، وفي الدار الآخرة، حسب جهده وعنائه في هذا المسار من غير ان يظلم احد مثقال ذرة، ولكن لا يستوي بحسبها العالم والجاهل، ولا المصيب ولا المخطئ.

- التأثر في البيئة من الطبيعي ان ينتج قسرية الفعل، فكيف تتم المحاسبة؟

الكتاب:ـ لا يصح ادعاء عدم اختبار الانسان في عقائده وسلوكياته له فيما تأثر في بيئته ذلك ان من البديهات الوجدانية أن الإنسان حرفي أعماله و سلوكياته وأفكاره، ومن موجبات التميز والفضيلة لم يكن نفي إمكانية سلوكه المتميز والفاضل، التأثير البيئي السلبي لم ينفِ خمول ارادته واختياراته في السلوك الخاطئ، هناك تأثر سلبي وتأثر حاسم يؤدي الى نتيجة يدخلها المرء تأثراً قاهراً وحاسماً. هذا أمر يبعده كل إنسان من نفسه في الوجدان.

&&&&

(6)

- هل الدين يعتمد العلم، وهل العلم جزء من رسالة الدين، وهو المعني ببيان الحقائق العلمية للإنسان؟

الكتاب: الدين رسالة الله سبحانه وتعالى الى العباد، تنبههم على الحقائق الكبرى، لا احد يدعي عناية الدين ببيان جميع الحقائق العلمية للإنسان، الله سبحانه وتعالى يعلم بحقائق الوجود، ولا يعني انه معني بتعليم الانسان لتلك الحقائق والرسالة التي يبعثها الى خلقه، والدين زوّد الانسان بما يضمن اندفاعه بتلك الحاجات في مناحي الحياة ومحور الحقائق الكثيرة: (التنبيه، التذكير، الايقاظ) ومحور الفضائل والوصايا (التربوية، النفسية، والاجتماعية).

ويرى البعض من أنباء الدين في بعض الحقائق العلمية غير المعروفة كدليل اعجازي فيها دلالة على حقائق علمية لن يكتشفها الإنسان إلا في الأزمنة الأخيرة؛ لتوفير ما يعزز الإيمان في عصر العلم.

- هل ثمة الضوابط يجب رعايتها بالتفسير العلمي لنصوص الدين؟

الكتاب: هذا الطرح غير محذور، وهناك نصوص كثيرة مثلت كشفاً خارقاً ينبغي الالتفات في شأنه، والنظر الى بعض الحقائق التي لم تكن معروفة، وهذا أمر طبيعي بالنظر الى إحاطة الله تعالى بتلك الحقائق، فشأن الدين هداية الناس إلى أبعاد الحياة وتذكيرهم بالسلوك الصحيح.

علماً أن السياق العام الذي ذكرت فيه الظواهر الكونية والإنسانية هي الفات نظر الانسان اليها للاعتبار بها او لإثارة دلالتها في شأن الحقائق الكبرى، آيات ناطقة على وجود الله سبحانه وتعالى وتدبره وقدرته.

وعلى الباحث ان لا يتكلف تفسير أي وجه يشير به الى حقائق غير معهودة، ولذلك لا تقوم به صحة بحجة وحقانية الدين في غنى عن مثل ذلك، فإن الحجج الضعيفة توهن الدعوة الحق، وتضعف موقفها بدلا من تقويتها وإثباتها.

أما نظر الدين الى الاحتجاج بالإعجاز العلمي أمر غير مطروح بشكل صريح من قبل الدين لإقناع الإنسان غالباً حيث يشتغل على دلالات النص في ضوء الأدوات اللغوية المستخدمة وبأداء فيه الرقي والاسترسال، وهو لا ضر فيه، ولا ننفي ما تضمنت نصوص الدين الأنباء ببعض الحقائق العلمية التي سوف تنكشف مستقبلاً بقول مطلق، بل ذلك امر واقع في بعض الموارد، ولكن ينبغي التهيب عن تحميل شيء على النص وعدم ليّه حتى يفيد.

- ما هو الدور الذي يؤديه الدين في الإلهام؟ وهل هو حاجة فطرية ام مكتسبة؟ ومدى حقانية الرؤية الدينية؟

الكتاب: للرؤية الدينية دور مهم وكبير أو مشهود، فتتأمل في دور الأنباء عن عدم فناء الانسان في الفناء في الإلهام ما تضمه الرؤية الدينية لبقاء الانسان بعد الحياة، وهذا يرضي تطلعات الإنسان، ويوجب له نشاطا وحيوية بالخلود.

وأما البناء على فناء الانسان بالممات، يسبب الشعور بالخواء داخل الإنسان، وشعوره بتفاهة وجوده..! تأمل حال العلماء والذين أدوا خدمات جليلة للإنسانية يلاحظ تطلعا له إلى بقائهم، ويرجو لهم السعادة والسرور، ولكن سعي بعضهم الى توفير الالهام للإنسان من خلال مقولات أدبية، وبعضهم صوّر روعة الحياة بأنها حياة واحدة وكل لحظة فيها لا تعود، وهذه البدائل الخطابية غير صالحة لأن تكون بديلاً عن التطلع الى إيجاد بعد هذه الحياة والانسان يتطلع الى وجود كائن اعلى منه، قدير يملك ازمة الحياة، ويعيش هو في كنف رعايته.

لكن تمسك الانسان بالمشاعر الحسية أدى به في جملة من الحالات الى الإذعان ببدائل موهومة وخرافية: كالأصنام والكواكب والبشر نتأمل في ان نشأة الدين في حياة الانسان هل هو رسالة من الخالق ام هو صناعة من فئة طموحة في توجيه الناس الى مسار الفضيلة هو النتيجة حتى صارت عقيدة جمعية بالتلقين.

هناك تقبل واسع وعميق من الانسان لهذه الفكرة، وشعور بالتلقي بالإله والطمأنينة في كنفه، ولئن سارت الإمكانات الإنسانية بعض الشيء نحو هذا التطلع، فإنها لم تحل محله في إعطاء السكينة له، وبسبب ضعف الإيمان بالخالق الراعي للإنسان، فهناك دوافع الالهام الفطرية، وهناك دوافع الالهام المكتسبة.

الصفات الفطرية دوافع مركوزة في خلقة الإنسان، وصفات منجزة مثل: الأكل والشرب وصفات كامنة تنتظر تحفيزها مثل: النكاح ينتظر الى نمو الجسم الى عمر معين، وقد يتم إشباع الدوافع الفطرية بغير ما هو مرفوع عليه مثل: إشباع حسن الامومة.

دوافع أخرى يكتسبها الإنسان، والملاحظ الذي لابد من التركيز عليه ان الصفات المكتسبة ليست صفات مغايرة للصفات الفطرية في أصولها، الجوع يدعو الانسان حسب الفطرة الى الطعام، ولكن الانسان يتوجه برغبته الى طعام مخصوص.

والمسار المكتسب يكون تارة متناسقا مع الدافع الفطري، حيث يتوجه الى ما يساعد عليه التكوين النفسي والبدني للإنسان، وتارة أخرى لا يكون متناسبا معه، النكاح واقع فطري، لكن الانحراف مكتسب.

ويرى البعض أن التطلع الى البقاء بعد الموت تطلع مكتسب عن صفة حب البقاء في الانسان، الواقع ان الدوافع الفطرية تعرف مادة بتجذرها وسعتها وعمومها وصلاحها النوعي لمنفعة الكائن المزود بها، وردود الأفعال المتولدة من عدم الاستجابة، فمن الوارد ان يكون تطلع الإنسان للبقاء بعد الموت هو امتداد فطري لصفة حب البقاء وليس مكتسبا، وذلك بقرينة مؤشرات وجدانية وتاريخية واستقرارية على تجذر هذا التطلع في النفس الإنسانية وسعته.

كما أن فيه صلاحاً للنوع الإنساني أن يكون التطلع الإنساني إلى البقاء بعد الممات والى كائن أعلى خالق للكون والحياة، يملك مفاتيح التصرف تطلعاً فطرياً منبعثا من عمق الانسان، والبحث عن مدى دلالة هذه التطلعات الإنسانية على حقانية الرؤية الدينية.

ولكن لا يبعد كون هذه التطلعات مؤشرا على حقانية الدين وفق الدراسات النفسية الفطرية وتدل على وجود تأمين نوعي لمقتضاها، وتعلق الطفل الوحيد بالأمل، يدل على أن هناك أماً مقدرة له وفق سني وجود الطفل، وعلى ان نفسية الأم صيغت على نحو تستجيب لعطفها عليه.

متى كان قد تطلع الإنسان فطريا الى كائن اعلى يرعاه، كان ذلك بنفسه دليلا على وجود هذا الكائن, وهو الله سبحانه وتعالى، بل ان وجود هذا التطلع الفطري في الإنسان قد يؤثر بالإنسان على عنايته أولاً ان الدين ملهم للإنسان موافق لتطلعاته في البقاء بعد الموت، وعناية كائن اعلى له.

ومن الوارد أن يكون هذا التطلع فطريا منها على وفاء الوجود بما تتطلع اليه، علما ان هذا التطلع يدعم التوجهات الجادة والفاعلة للإنسان، حيث يوجب له مخاوف من ترتيب اثر على أعماله، وهو الذي تؤكد عليه الرؤية الدينية.

&&

(7)

- على ماذا يعتمد الاختبار الإنساني؟

الكتاب:ـ أولاً: الدواعي والمؤثرات النفسية، تأثير إبداعي وإنساني، لا يمكن أن يختار الإنسان ما لا داعي له أصلاً, فالداعي ضروري في الاختيار، لكنه ليس كافياً, يحتاج الى اتخاذ المرء قراراً نفسياً وفق ذلك الداعي.

ثانياً: الوعي بأن يلتفت المرء الى خياراته.

ثالثاً: القدرة، وهذه القدرة قابلة للتنمية في الانسان في حال عدم تعوده على الاستجابة لها، كان أهل الإصلاح والحكمة يهتمون بعدم مطاوعة النفس في جميع الأحوال والتنمية للقدرة على المباعدة عنها, فمقومات الإرادة: (الداعي, الوعي, القدرة).

- لكننا نجد أن الاختبار يضعف عند التطبيق؟

الكتاب:ـ الانسان كونه مختاراً في كثير من أفكاره وسلوكياته بضرب من الاختيار، وإن كان ضعيفاً، فإن مقدار انصافه وعدالته وتثبته وسلوكياته المؤثرة في مقدار اهتمامه بالحقيقة، وبحثه عنها، واستجابته لها.

- هل يجوز تفضيل صاحب الاعتقاد الصحيح على صاحب الاعتقاد والسلوك الخاطئ؟

الكتاب:ـ الاعتقاد والسلوك الخاطئ قد يكون حدثاً من دون اختيار من صاحبه؛ لأن بيئته وظروفه كانت قاهرة في حجب الحقيقة عنه، بالقياس الى قدراته، فهل يصح ان يأخذ عليه ما فات عنه على هذا الأساس, فان يراد تحميله مسؤولية خطئه ومعاقبته عليه، فهذا امر غير جائز قطعاً، وأن يراد عدم منحه ثواب من بلغ الاعتقاد والسلوك الصائب، فهذا امر جائز، ولكن قد يرى البعض في تحميل المخطئ مسؤولية خطئه، مما يجعل منه خطيئة وليس خطأ محظاً، وذلك على أساس عدم تكافؤ الفرص للمصيب وللمخطئ في هذه الحياة، من جهة أن المصيب مثلاً كان محاطاً بيئية مساعدة على الاتجاه الصائب، بينما كان المخطئ محاطاً ببيئة مساعدة على الاتجاه الخاطئ، إلا أن هذا القول ليس صحيحاً بالنظر الى ان اختلاف الفرص - فرص النجاح والاخفاق - لا يكون مخالفاً للأداء، وليس من الصحيح للإنسان ان يقع في موقع الاقتراح بنظام آخر لهذه الحياة، ويتعمق في مبانيها واسرارها في هذه الغاية، فإن ذلك خوض في المجهول الذي لا يملك المرء أدوات التفكير فيه، أن من وقع في موقع أقرب للخطيئة، يحسب له ذلك، بمعنى انه اذا اختار منح الصواب، تلقى تقديرا اكبر ممن لم يكن بهذا القرب من الخطيئة، فكل من كان امتحانه أصعب في الحياة، كانت درجته اعلى ان الله سبحانه وتعالى وفق النصوص الدينية لا يهمل مثقال ذرة، لتحديد ما يستوجب الشخص في أثر اعتقاده وسلوكياته.

إن من المفهوم جداً أن لا يتساوى من عرف الله سبحانه وآمن به، وأحسّ انه يعيش في نعمه، فشكره وأثنى عليه، وامتلأ ضميره بالامتنان له ورجاه في ما انكشف له من ابعاد الحياة، ومن جهل ذلك، فلم يؤمن، ولم يراعِ الأدب اللائق، ولا ابدى شكرا ولا امتنانا ولا وجد إليه سبحانه حاجة.

أنه لا يصح ادعاء التفاضل بين الناس في القبول بالدين الحق، فإن الإنسان مختار على العموم في اعتقاده وعمله، ولكل انسان اختباره في هذه الحياة حسب موقعه، فإن احسن جوزي بما يناسبه، وقدر له ما عناه، ولا يُظلم أحد مثقال ذرة، فان الله سبحانه عدل حكيم.

- هل المطلوب في الدين الإيمان الواعي؟

الكتاب:ـ تتضمن التعاليم الدينية استعمال أدوات تلقينية في تبليغ وتوجيه الناس ولا سيما الناشئين إليه، فهلا ندع الناس يتأملون الموضوع من ذوات أنفسهم، حتى يقرروا ما يصلون إليه عن بصيرة واطلاع.

لا شك ان المطلوب في الدين هو الإيمان الواعي، ومن ثم نلاحظ أن النص الديني من خلال القرآن الكريم يعرض الحقائق والتعاليم الدينية بلغة مبسطة وميسرة، ويكرر بيانها بوجوه مختلفة بترشيد عامة الناس، وتحفيز إدراكهم.

فتأملْ كيف يؤصل النص الديني من خلال القرآن ضرورة التعقل والتفكر والوعي والتأمل ومراجعة النفس والتعويل على الحجة والبرهان، وعدم القول والإيمان بغير علم: كالتقليد والعصبية بالآباء، فهذا هو الأسلوب العام في الخطاب القرآني.

ومن ثم تراه مليئاً بمخاطبة عامة الناس، وبذكر الآيات والأدلة بلسان (أفلا تعقلون، أفلا تتفكرون، أفلا ينظرون، أفلا يرون) كما انه يوقظ الشعور والاحساس الصادق والصافي بلسان لمن كان له قلب، ويمكن القول حقاً: إن الخطاب القرآني هو أبلغ القول وأروعه، فإثارة الفكر والتعقل والوجدان.. فإن المطلوب في الدين هو الإيمان الصائب ولا ضمان الإصابة إلا بتحصيل الوعي والتأمل.

- جواز استعمال الأدوات التربوية في الإقناع بالدين؟

الكتاب:ـ لا يمنع من قبول اتصال الدين الى الآخرين من خلال أدوات تربوية، نظير تربية الأولاد والتلاميذ وعامة المجتمع على الدين والمبادئ الدينية على حد ما يعتمده العقلاء في سائر المسائل التي ينبغي تعلمها، والاطلاع عليها، بل هذا الأمر أمر لازم ومقبول، بعد أن كنا ننطلق في الموضوع من افتراض حقانية الدين، ونتحدث عن الدين الحق خاصة، وليس عن اعتقاد ديني لجماعة معينة.

ليس هناك مانع من تبليغ الحقائق والتعاليم الدينية للآخرين، والانتفاع بها في بث روح الحكمة والأخلاق فيهم، بل هذا أفضل رسالة يؤديها الإنسان في الحياة، متى عمل بها وفق ضوابطها، واندفع واقعاً من داعي الحقيقة، وليس من جهة العصبية ونحوها من الدواعي الخاطئة..!

نعم، ينبغي للإنسان ان يتبع الأساليب الحكيمة واللائقة التي توجب قناعة واقعية للمخاطب ولا تترتب عليها مضاعفات سلبية من جهة أخرى.

- ادعاء أن استعمال أدوات تربوية في إيجاد الاعتقاد، أمر خاطئ..؟

الكتاب:ـ جادل بعض الباحثين بأن إيجاد اعتقاد للآخرين من خلال أدوات تربوية لا يؤدي الى حدوث الاعتقاد عن تبصر ووعي، بل عن تقليد وتلقين، وهو لا يجدي من جهة ان المطلوب في الدين هو الإيمان الناشئ عن إدراك الحقيقة، ولا جدوى في التلقين بها وهذا القول ليس دقيقاً.

أهمية القناعة في الحقيقة بنفسها مهما كان منشأها، ان من اقتنع بالحقيقة الدينية ورآها في عمله وسلوكه، فقد انتفع بها بعض الشيء حتى لو كان ذلك عن تقليد واتباع، كما هو الحال في الحقائق الأخرى في هذه الحياة التي يلقن الانسان بها من قبل الآباء والمعلمين ووسائل الإعلام الهادف، وتلك سنة الحياة في شؤونها كلها.. نعم هناك ملاحظات في شأن التقليد في أمر الدين:

1- إن التقليد فيه لا يخلو من خطورة من جهة، إذا تبيّن أن الخطأ فيه لم يعذر المرء اذا كان له سبيل الى التحقيق المباشر.

2- إن القبول في الدين على سبيل التقليد، وإن كان يفي بالغرض، إلا انه قد لا يكون امتثالاً لتمام ما هو الواجب شرعاً؛ لأن الواجب في الدين وفق الاتجاه الفقهي المشهور أمران: الاعتقاد بالحق، وكون هذا الاعتقاد عن استدلال لمن تيسر له ذلك.

3- إن الاعتقاد بالدين عن معرفة يحظى بتقدير أكبر عند الخالق بالقياس الى الاعتقاد الناشئ عن التقليد، فإن سبحانه سنّ سنة في حياة الانسان على قيمة المعرفة والعمل الفاضل، ومن ثم كانت المعرفة التي تكون عن تبصر أكثر تقديرا من المعرفة الناشئة عن تقليد، بل كلما كان تبصر الإنسان بالحقائق الكبرى أكثر، لقي تقديراً اكبر، فالموقن بها الذي ينظر إليها حتى كأنه يراها رأي العين، أفضل من العالم المعتقد بها من دون يقين.

&&&

(8)

- كيف تكون عدالة الدين مع الآخر المختلف في الدين من المنطلق الفطري؟
الكتاب: من الأمور الذميمة والمرفوضة من المنطلق الفطري هي العصبية تجاه الآخرين ويمكن تقسيم العصبية الى ذميمة تحول دون العدل، وأخرى مرجوحة تمنع من الفضل.
الأولى عصبية تؤدي الى منع الآخر من استحقاقاته الفطرية الواجبة له مثل مراعاة حرمة نفسه وعرضه وماله وما الى ذلك، وهي ذميمة؛ لأنها تنتهك حقوق الاخرين الفطرية.
أما الثانية عصبية تمنع من الاحسان الى الاخر بما لا يجب على المرء بحسب الفطرة ولكن تكون ممارساته فضيلة ونبلاً: كالتصدق غير الواجب على الفقراء وإغاثة المعوزين وهذه العصبية ليست ذميمة تستوجب تقريعا ومؤاخذة، ولكنها مرجوحة قد توجب عند العقلاء ملامة وعتبا.
وموقف الدين من الاخر هو التعامل مع الآخر في اطار القسط بل الإحسان ورفض أي عصبية اتجاه الآخر حتى لو كان في الدين، وان التعاليم تتجنب النهي عن كل انحاء العصبية ضد الآخرين كالقومية والقبلية والذكورة والأنوثة والمناط في النجاة هو معرفة الحقيقة والاذعان بها والفضيلة والعمل الصالح.
وحذر الدين المسلمين من نسج مثل هذه العصبيات لأنفسهم بأن يزعموا قربهم الى الله سبحانه ونجاتهم من دون سائر الناس بمجرد اسلامهم وقد بلغت بعض النصوص مبلغا كبيرا في هذا التحذير، تحذير المؤمن والمسلم والمتقي بمن راعى القيم الفاضلة ونفي الإيمان والإسلام عمن انتهكها وتمكن لها فالعصبية الدينية امر ذميم ومرجوح كما هو الحال في العصبية القومية وغيرها.
وتفيد النصوص الدينية المتعرضة لتأصيل القيم الفطرية النهي عن العصبية، لمراعاة العدل حتى مع المختلف في الدين فان لم يملك المرء نفسه أن يبغضوه لبعض ممارساته اتجاهه فليملك سلوكه وتصرفه فلا يؤدي الى ظلمه، الأمر بالعدل و مصاديقه مثل الوفاء اتجاه الآخرين.
واما العصبية المرجوحة المانعة من الفضل هي عقيب التحذير ممن يكيد بالمسلمين وعلى ضوء ذلك يظهر أن من غير الوارد أن تعد الحروب والمآسي الدينية من اثار توجيهات الدين وتعاليمه، مع أن كثيرا منها وقعت بين طوائف متعددة في الدين الواحد، ولا شك ان الدين الإسلامى مثلا يرفض مراعاة اهله بعضهم على بعض، وهذا منبه على انه من الضروري الرجوع في تحقيق الموضوع الى تعاليم الدين نفسها.
- أين تكمن حقيقة العصبية وحدودها؟

الكتاب: ينبغي بذل المزيد من الاهتمام لفهم حقيقة العصبية رفعا للالتباس ولكن ليس من هذه العصبية ان يشعر الانسان اتجاه قومه بمزيد من الود والمحبة تقدير للجهة المشتركة من غير ان يحتقر الآخرين ويهمل ما يستوجبون بجامع الأخوة الإنسانية.
والعصبية العشائرية ليست من هذه العصبية ان يشعر اتجاه عشيرته بخصوصية إضافية من الود والمحبة؛ لكونهم أرحاما له يستوجبون مزيدا من التفاعل ويرغبون بحسب تلك الوشيجة الى مزيد من التعاون لضمان المصالح المشتركة من غير ظلم الآخرين وتعسف اتجاههم. وليس من العصبية شعور الانسان بمزية يتصف بها ونعمة كان واجدا لها فليس من عصبية الدين ان تدعي الرؤية الدينية الحقانية لنفسها فإن ذلك امر طبيعي في أي مجال من مجالات الحياة، بل تتقوم الرؤية بادعائها الحقانية لنفسها وإلا كانت نظرية راجحة او افتراضا محتملا وانما الذي يخل بالعدالة نفي وجود حرمات للاخرين على سبيل التأصيل العام، حيث أنه يجافي القانون الفطري، ويعتقد المرء بحقانية هذا الدين وصوابه فان مثل هذا الدين هو واعية الحقيقة في الحياة وندائها ولن يستطيع المرء الحفاظ عليه الا بمعرفة قدره والاقتناع بصوابه والتمسك به وهذا سائر العلوم الصائبة، فانه من الطبيعي ان يعتقد أصحابها بحقانيتها ويشعرون بالمزية من حيث الاطلاع عليها.
الدين الراشد أيضا يشعر صاحبه بأن له مزية من جهة استكماله للرؤية الصحيحة والثاقبة للحياة والاذعان بها وينبغي ان يفرق في منحى التعليمات الدينية وان يكون منحى التعليم نذير من أدرك العقيدة الصحيحة بأهمية هذا الاعتقاد هو امر لزرع الثقة في نفسه باعتقاده ولكي لا ينصرف عنه بشبهات ضعيفة وبين ان يكون منحى التعليم تحقير الآخرين وهدر حقوقهم.
ولا شك أن مثل هذا التفريق مما تجده كل جهة عامة تثقف المجتمع في اعتقادها بالمبادئ الصحيحة وليكن مثلا قوانين حقوق الانسان والمواطنة فإنه ليس من مظاهر العصبية أي تعليم أو سلوك يمكن أن تبرره حقانية المبدأ إذا كان هذا المبدأ حقا.
- كل دين يدعي لنفسه الحقانية بطبيعة الحال.. فيعذر أصحاب كل دين فيما يعملون به تحوطا لاعتقادهم؟
الكتاب: الصحيح تحديد التعامل المشروع بأطر عامة وفق المبادئ العقلانية العادلة التي يدركها العقل العام لكن نجد في هذا القول تعسف أيضا فان من غير الوارد ان يبنى على التسوية بين الاديان كلها بلا فرق بين عقائد جعلها شخص ما بغرض الرئاسة مثلا وبين عقيدة صائبة تكشف ابعاد الحياة وتمثل الإرادة الإلهية.
لا شك في أن الدين يعتبر الوقوف على الحقيقة والاذعان بها دون تساهل أو عناد ميزة لصاحبه من جهة ما يمثله ذلك من تبصر في قواعد الحياة،

وهناك أصول للتعامل مع الآخر في الدين كأصالة حرمة الإنسان و أصالة حرمة المعاهدة، ولا يصح ما يظن من انحصار الإسلام في المسلمين والمعاهدين، الإنسان بنفسه يستوجب للاحترام في الإسلام ما لم يعتدِ او يفسد.

وربما وجه الخطاب في النصوص الملزمة بالقيم الإنسانية الى خصوص المؤمنين ويتجلى هذا المبدأ أيضا في عهد الامام علي (عليه السلام) الى مالك الاشتر حين ولاه مصر وكان الكثير من أهلها غير مسلمين كالأقباط: (وأشعر قلبك الرحمة للرعية والمحبة لهم واللطف بهم...). وفي اية أخرى يوصي سبحانه بعدم التعرض لمن استجار من المشركين بالمسلمين رغم التوتر الشديد والعميق بين الطرفين، قام فيها المشركون باضطهاد المسلمين وتهجيرهم من ديارهم واثارة الحروب ضدهم طمعا في إزالة كيانهم واستئصال دينهم فالإنسان مطلقا حرمة في الدين أيا كان دينه ومذهبه، من جهة أن الإسلام بنفسه يستبطن ميثاقا اجتماعيا بين اهله برعاية حرماتهم ولكن من غير ان يعني ذلك تسامح وتساهل في الاعتداء على الآخرين.

التأصيل الأول في الدين في التعامل الاجتماعي والسياسي مع الاخر على مراعاة القيم وحفظ الحرمات والمصداقية في التعامل والالتزامات ولو ان الدول تكاتفت للعمل على مبدأ عولمة القيم وحفظ الحرمات والتكافل الإنساني العامل بنحو عام لترفع مشاكل الدولة الفقيرة والضعيفة وتكون ناصحة لها.

وقد وقى الإسلام المجتمع الإسلامي لذلك عن العصبيات القبلية والقومية والوطنية وعن الحروب التي كانت تتفق من قبل على أساسات ضيقة للقبيلة والقومية والبلد، على أنه لم يلغ قيمة هذه الوشائج الفطرية في وجدان الإنسان فجعل القرابة مثلا وشيجة مؤكدة لرعاية الحرمات وموجبة للصلة والتكامل من دون أن تكون عصبية ضد سائر المسلمين.

كان علي (عليه السلام) يقول: (فالرجل يموت ويترك مالا وليس له أحد اعطي المال لأهل وطنه ممن يعيش في البلد الذي مات فيه)، حيث كان في الكوفة آنذاك جاليات من اقوام متعددة غير العرب، ومن ابعاد هذا الولاء الخاص بين اهل الدين ان إيلاء الاهتمام بهذا الجامع المشترك يجعل منها وشيجة رابطة بين اهله مما يؤدي الى تقدير ايمان المؤمن في داخل المجتمع المماثل له في الاعتقاد وتتكون بهذه الصلة بيئة تحافظ على حفظ دينه وثقافته الدينية وتكون حماية له ضد الأخطار الناشئة من التعصبات الدينية.

- كيف نضمن عدم استناد هتك الحرمات بين اهل الدين الى الدين؟

الكتاب: نلاحظ كثرة القتال الداخلي بين المسلمين منذ صدر الإسلام حتى الآن ولا شك في أن هذه الاقتتالات والحروب الدينية الداخلية لم تكن تسند بحال الى توجيه الدين بالتعصب بين فرق المسلمين واسقاطه لحرماته، فهل من المعقول مثلا ان يدعي احد ان الدين هو الذي وجه الخوارج في صدر الإسلام بقتل الامام علي (عليه السلام) بموقعه وسابقته في الإسلام؟ وكذا قتل كثير من المسلمين على أساس تكفيرهم بدعوى ارتكابهم للكبائر وبقر بطون نسائهم حتى احتج عليهم الامام علي في بعض خطبه في نهج البلاغة لكون ذلك مخالفة واضحة لسيرة النبي (ص)؟

ومثل ذلك من وقع من قوم في هذا الزمان حتى استباحوا دماء الامنين من المسلمين وغيرهم من نساء وأطفال وشيوخ بأساليب شائنة تنفر منها الفطرة وينكرها الدين، وفي الحكومة في الإسلام وسيلة لإشاعة العدل والتوجيه نحو الفضيلة وليست غاية لذاتها فكيف يضح المرء بالغاية من أجل الوسيلة؟ ومن عدم تهذيب الأخلاق الوقوع في المزاجيات المفرطة الخارجة عن الاعتدال الإنساني وطغيان المشاعر الناتجة عن حب الرئاسة والجاه والشعور بالتحقير والتهميش مما يؤدي الى الحقد على الآخرين وعلى العموم فان المبادئ الحقة لا تكفي في تصحيح السلوك الإنساني بل تحتاج في فهمها فضلا عن تطبيقها الى حاضنة سليمة.

&&&

(9)

- حدثنا عن اهتمام الدين بالعدالة؟

الكتاب: إن العدالة هي أحد المفاهيم الأخلاقية بحسب إدراك الضمير الإنساني، وايفاء بالحقوق الفطرية المقررة على أساس تحري الصلاح والحكمة، وقع الاهتمام بالعدل في الدين كأساس في السلوك السليم، وهي من جملة صفات الخلق الإلهي في التعامل مع الخلق ((قائماً بالقسط))، ((إن الله لا يظلم الناس)).

وجعل العدل من غايات بحث الأنبياء، وهو العنوان العام للتشريع في الدين، وهو العنوان العام للقضاء بين الناس، ومن ثم اعتبر في الشهادة عدالة الشاهد، والزم الإنسان بأن يجري على مقتضى العدل حتى في حال القتال بين المجموعات المختلفة، بأن يسعى الى الإصلاح بين الطرفين بالعدل، ويكون عوناً للمظلوم على الظالم، وجعل العدل هو السلوك السليم للتعامل الاجتماعي بين الناس، وألزم المؤمنين بمراعاة العدل حتى مع من يبغضونه, وأمر الله المؤمنين أيضاً في التعامل مع غير أهل الدين بالقسط، وبتحري العدل مع الفئات المستضعفة كاليتامى.

وأوجب القسط في التعامل الأسري حتى أن الرجل إذا لم يأمن في حال الزواج من امرأة ما أن يعدل معها بأخرى، بشرط أن يعدل بين امرأتين، وطلب من الناس التعامل مع الله سبحانه وتعالى بالعدل وبالإذعان به وبمعروفه، ولم ينزل الله سبحانه العذاب على قوم في الحياة الدنيا إلا في حال امعانهم في الظلم، وذكر الله تعالى أن موازين يوم القيامة تجري بالقسط.

- مدى توافق أنباء الدين وتعاليمه مع العدالة؟

الكتاب: إن مفهوم العدل كسائر المفاهيم العامة ذو مساحتين، مساحة يصدق فيها صدقاً بيناً وواضحاً، ومن البديهي أن يحتاج ادراك الحق فيه الى إحساس فطري مرهف، وأن يتوقف تشخيص الاستحقاق، فكم من شيء يعتقده الانسان عدلاً واستحقاقاً، وتبدو له مضاعفاته، ويمثل وجود المساحة الثانية اختلاف القوانين الوضعية، كعقوبة الإعدام مثلاً ضرب من العدالة الواجبة، بينما لا يراها البعض كذلك، وهناك ضرورة الفرز بين مفهوم العدالة ومفاهيم أخرى، فالفرق موجود بين مفهوم العدالة وبين مفاهيم أخرى يشعر الانسان تجاهها بشعور إيجابي. العدالة مفهوم ينطوي على رعاية جميع العناصر كمفهوم المساواة ومفهوم الرحمة، فهي تنطوي على النظر الى بعض تلك العناصر.

- هل هناك في رأيكم فرق بين العدالة والمساواة والعدالة والرحمة؟

الكتاب: مفهوم المساواة يشعر تجاهه المرء بشعور إيجابي، وينظر الى التفضيل من المنطلق الأخلاقي التربوي، هذا المعنى لا يخالف العدالة بل يوافقها, فلا يصح مثلاً أن نساوي المحسن بالمسيء،

ولا يمكن تسوية الناس الذين يختلفون في درجات الاحسان والإساءة بل يقدر كل بقدره، وهذا الأمر ضرورة تربوية كما هو ضرورة أخلاقية,
فإن هذا لا يبرر تسويته بالتلميذ الفاضل المتميز، حتى وإن شعر المعلم بالعطف على التلميذ المفضول لظروفه.
وأما تخصيص الأفضل فليس له ظلم للمفضول، وقد يكون تركه جفاء للفاضل، وهذه نقطة جديرة بالتأمل, فالفرق بين العدالة والرحمة حيث أن مفهوم الرحمة هو أيضاً مفهوم يستهوي الانسان بفطرته، ليست كل رحمة موافقة للحكمة أو موصوفة بالفضل، فالحكمة والفضيلة يعتمدان على ثنائية اللين والحزم، ومن العدالة ما لا يستطيع الإنسان غالباً إدراكه، ولا يمكن معرفته من خلال تجربة معينة وحالة مفردة، فإنه يشتبه في تشخيص مقتضيات العدالة خلال الآثار المتوقعة للسلوك الخاص، فالتنظير في البحث يغري الباحث بالمثالية المفرطة بعيداً عن سنن الحياة.
ومن العناصر الدخيلة في تصنيف العمل واعتباره عادلاً أو لا قد يؤنب المرء طفلاً منطلقاً من لون بشرته، أو من شكله، فهذا التأنيب فيه ظلم قبيح قد يؤنبه منطلقا من تشجيعه على تهذيب تصرفاته وسلوكه واتقان دراسته، فهذا التأنيب أمر حسن ولائق متى كان موافقاً للحكمة، بل يكون احساناً الى الطفل.
وملاحظة النصوص الدينية لأي تشريع في الدين لم يكن منطلقاً من احتقار الآخرين بل ينطلق من الاهتمام بقواعد الحياة وسننها ومقتضياتها التساؤل عن مدى موارد ما جاء في الدين مع العدالة يتعلق بالفعل التكويني لله سبحانه وتعالى في هذه الحياة الدنيا من قبيل وجوه الشر والمرض والخراب الذي يحصل وفق السنن التي سنّ عليها الكون والكائنات وما يتعلق بالحياة الأخرى مما جاء في الدين من جزاء شديد للأعمال, وما يتعلق بالتشريع الديني حيث أن مجموعة من الأحكام تتضمن اختلاف الناس في الاستحقاقات والحقوق.
اما على أساس الاختلاف في الخلق كالذكورة والأنوثة، وأما على أساس الاختلاف في الدين وعليه قد يطرح ان هذه الاحكام تخالف العدالة؛ لأن مقتضى العدالة التسوية بين الناس في الحقوق والاستحقاقات كلها، فأي تفاوت تشريعي بينهما يكون تمييزا غير مستساغ بحكم الضمير الإنساني, يقيناً بعدالة الله سبحانه وتعالى مع خلقه وتحريه للعدالة حسبما يتاح في تشريعاته هو فوق يقيننا بثبوت أي تشريع يكون ثبوته او استمراره متعلقاً بضرب من الاجتهاد.
وحقيقة الدين لها أعمق وأوسع وأكبر بكثير من عدة مفردات تشريعية تحتمل في حال افتراض مصادمتها بحركة العدالة، يتعين تغييراً أو ترديداً, ليس هناك من تشريع ديني يكون ثبوته في الدين قطعياً على حد يوازي ثبوت أصل الدين؛ لأنه لا يتفق في حال وروده في القرآن الكريم ويكون أصل ثبوته.

هذا النوع من الموازنة بين القضايا وتقييم مستوى اليقين مبدأ منطقي واضح يجري عليه الإدراك الإنساني بالفطرة في جميع مجالات الحياة. كما أن قداسة الدين لا تنفي وجود تشريعات تتغير نحو الأمثل وفق ظاهرة نسخ الأحكام في الشريعة.

- مدى عدالة الدين في شأن الاختلاف بين الناس في الخلق؟

الكتاب: انتقاص أي إنسان على أساس وصف خلق عليه أمر مخالف للعدالة لا خيار للإنسان في صفاته التي خلق عليها عموماً، الانسان يقدر بالنظر الى سلوكه وسيرته الاختيارية، وحسب مستواه المعرفي ورعاية القيم الفاضلة، فإن الاختلاف في الخلق حتى لو كان اختياريا لا يوجب انتقاصه والإعابة عليه.

- هل يميز الدين الناس بعضهم على بعض على أساس التمييز القومي أو الطبقي أو الجنسي؟

الكتاب: بعض العقائد تجاهر بوجود مثل هذا التمييز عندها، فتقسم الناس إلى أقسام بعضها أفضل من بعض، وقوم أفضل من قوم وطبقة افضل من طبقة والرجل افضل من الانثى..! لكن الدين الإسلامي القويم من خلال القرآن الكريم يجاهر بأن ينطلق من العدالة المطلقة بين الخلق كلهم والمعيار الوحيد للتفاضل هو الفضيلة والتبصر في الحياة، وينفي الدين على الخصوص التمييز القومي والنسبي والتمييز بالجنس؛ كونهما يتميزان في سائد الثقافة وعدم التمييز القومي بين الخلق في الدين هو أمر ظاهر، لو كان دين الإسلام مميزاً لقوم لميز العرب على غيرهم استمالة لهم الى الإسلام، ولكن دين الإسلام لم يتعصب للعرب ولا فضلهم على سائر الأقوام.

- وما جاء من تفضيل بني إسرائيل؟

الكتاب: إن المراد بالتفضيل هو فضل الله عليهم، إذ جعل منهم انبياء، وليس التفضيل يعني انه جعل كل واحد منهم أفضل من سائر الناس، ولكن جماعة منهم أخرجوا هذه النعمة الى هذا المخرج الكاذب، وبنوا عليه العصبيات الذميمة والادعاءات الواهمة، وبالمناسبة، نذكر وجود جماعة مصفاة من أهل بيت النبي (ص)، لما امتازوا من ايمان وثبات ونبل وزكاة أسوة بالمصطفين من السلالات السابقة، كما جاء في حديث الثقلين، وأحاديث وردت في شأن كل من الامام علي وفاطمة الزهراء والحسنين (عليهم السلام)، وتشريف قرابة النبي (ص) من بني هاشم وبني عبد المطلب تشريفاً دنيوياً بالنظر الى حمايتهم له (ص) في أداء الرسالة في وقت حاربه سائر قريش، وربما كانت الغاية من هذا التشريف فضلاً عن كونه عرفاناً بجهود النبي (ص) بإكرامه في ذريته وقرابته.

وأما في ما يخص مبدأ المساواة، فالدين ينفي وجود التميز بالجنس، ويعني تفضيل الذكر على الأنثى، فالأنثى صنو الذكر، وقد اصطفى الله سبحانه تعالى من الذكور واصطفى من الإناث نساء مثل مريم (عليها السلام)،

فربما أصابت امرأة وأخطأ رجل، ومن ذلك موقف ملكة سبأ الصائب في عدم المقابلة مع سليمان بالقوة، بينما لوّح مستشاروها من الرجال بالقوة.

ان المنطلق الأساسي في الدين مساواة المرأة بالرجل في الإنسانية ومقوماتها، ولكل خاصته وصفته وامكانياته التي يكتمل بها مع الآخر، ونظرة الدين الى طبيعة العلاقة بين الرجل والمرأة هي التكامل، الدور المتماثل مع دور الآخر (تكامل المتماثلين) ومن ثم لهم تكامل المختلفين أيضاً.

والدين يرى ان الرجل والمرأة يختلفان في خصائصهما اختلافاً اقتضته سنن الخلقة وتنظيم الحياة، هذا الاختلاف في حقيقته من السمات الرائعة والجميلة، من الخطأ الذهاب بمذهب التساوي بين الرجل والمرأة في الإنسانية الى نفي أي تفاوت بينهما، ومن الخطأ أيضاً أن يستغني الرجل عن المرأة في الحياة، او تستغني المرأة عن الرجل فيها، فالحياة قائمة بثنائية الرجل والمرأة بينهما يكمل كل واحد منهما الآخر.

وللمرأة نوع خصائصها المعروفة ومن أبرزها قوة العاطفة والإحساس لديها، يتأثر موقف الأم بالعاطفة واللين، ويتميز موقف الأب بالحزم والقوة، وللعاطفة بطبيعة الحال تأثير على إدراكات الإنسان وقراراته بالنظر الى ان الانسان كل لا يتجزأ، زيادة العاطفة لن تؤثر على الادراكات العلمية البحتة، لكنها تؤثر على القرارات العلمية والإدراكات المتعلقة بها، المرأة صاحبة الاستجلاب العاطفي في غطاء من الحياء بما لا نجد مثله عند الرجل.

أيضاً المرأة هي المولد للجنس البشري بما اقتضى رعايتها؛ لأن البيئة الطاهرة والمصونة هي الأساس الأول والأعمق لسلامة التربية، وإثبات هذه الفروق بين الرجل والمرأة لا يعني بالضرورة كمالاً للرجل، وانتقاصاً للمرأة بقدر ما يقتضيه.

التشريع المبني على تقدير هذه الفروق لكل من الرجل والمرأة في هذه الحياة بالمنظر النوعي العام؛ لأنه يستمد من التكوين النفسي للإنسان، الحياة العملية للإنسان على أساس عدم الفرق بين الجنسين كما تجري عليه الثقافة، على الحياة الاسرية وعلى واقع حال الرجل والمرأة وأولادهما أكثر من نفعه، التشريع الأمثل بريق عناوين جاذبة للمساواة، أساس دراسات غير دقيقة تتأثر في منحاها بالرغبات العامة والأجواء الحاكمة، الى الفوارق المشهودة واسنادها الى التربية الأسرية، والبيئة الاجتماعية، فهي فرضت القوامة للرجل في الحياة الاسرية، والمراد ان الرجل هو من يقوم على الأسرة برعايتها وحياطتها.

في شأن الجهاد نجد ان الرجل هو المكلف المضحي بنفسه ودمه حماية للمجتمع عامة، والنساء، ويناط بالرجل عموما حماية العائلة والاسرة، من الامور الشخصية التي تتعرض لها، من حيث التكوين البدني والنفسي لما تقتضيه الحرب.

وفي شأن الاداب الاجتماعية العامة نجد ايجاب مبدأ العفاف على كلا الجنسين في النظر والمظهر والسلوك، ولقد أصر الإسلام على تمكين الزوجة بعد تجربتها الأولى سواء كانت مطلقة أم ارملة من ان تتزوج من تشاء بمعروف. وقد أجاز التعدد للرجل واشترط فيه شرطاً وهو رعاية العدل بين النساء، وان حجر الرجل على العلاقة الشرعية مع امرأة واحدة مهما كانت ظروفها أمر غير عملي على العموم، فضلا عن موافقة هذا التعدد مع مصلحة العوانس والأرامل والمطلقات ودوره في صيانتهن عن الخطيئة، وإجبارهن على قمع غريزة فطرية.

&&&

(10)

- كيف تتم اصالة احترام المعاهدة ولو مع غير المسلم؟

الكتاب: أصل في غاية الأهمية في القانون الفطري، وعليه يبتني السلم الداخلي كما يبتني السلم الخارجي في المجتمعات. أساس النظام الحديث هو تكوين الدولة ليمثل القانون ميثاقا اجتماعيا بين المواطنين يجب على جميعهم رعايته وحفظ حرمات بعضهم لبعض على أساسها.

فهذا الأصل ينظم العلاقة بين المسلمين وغيرهم تنظيما متكاملا يضمن حرمات الطرفين سواء كان جاريا بين الناس بصفتهم الدينية كاتفاق المسلمين مع غيرهم او كان بين الناس بصفة أخرى كالمواطنة التي يشترك فيها المسلم وغير المسلم، ويلتزم من خلال الانتماء الى الوطن بميثاق اجتماعي بين اهله.

عقد معاهدة لحفظ حرمات الطرفين امر متداول في المجتمع العربي قبل الإسلام وقد كان الوفاء بالعهد أمراً محترماً جداً عندهم، وكان الغدر سبة على صاحبه، وضعة بالغة فيه مستوجباً سقوط حرماته، هذه من قبل الذين غدر بهم كضرب من المقابلة بالمثل لسقوط الثقة به تماما وعدم الامن من جهته في حال من الأحوال.

وعلى هذا الأصل جرى نبي الإسلام عندما وفد على المدينة واذعن له أهلها فكتب وثيقة تضمن حرمات المسلمين فيما بينهم, وضمن على أساسها حفظ حرمات اليهود والنصارى الذين كانوا يعيشون حولهم وهذا الأصل يضمن في العصر الحاضر مراعاة حرمات غير المسلمين سواء في البلاد الإسلامية او غيرها.

المهم ان هذا النظام جهة مسلمة ونافذة وقد اذنت بدخول غير اهل الدين على أساس الأمان فلا يحق لسائر المسلمين التعدي عليها. التأصيل الشرعي العام لا يحق للمسلمين التعدي على البعثات الدبلوماسية للدول غير المسلمة في بلادهم فضلا عن الدول المسلمة, واما حال غير المسلمين في غير بلاد الإسلام فانه وجوب حفظ حرماتهم اجلى وأوضح.

اقبح شيء في الفطرة والدين والإسلام تعدي الضيوف على حرمات المضيف الامن بأي شبهة, والإسلام لاحظ في احكام الحرب آدابا إنسانية عامة لا مخرج عنها. ان الدين لا يستبيح حرمات الاخرين بحال ولا يدعو الى التعصب الظالم ضد غير اهله, لزوم عقد المعاهدة الضامنة للأمن مع الاخر فلا يصح للمسلمين حتى في ظروف قوتهم التعسف من خلال المعاهدة بفرض شروط ظالمة على الاخرين.

- اذا كان التأصيل العام في الإسلام حفظ احترام الانسان فما وجه الحاجة الى المعاهدة مع الاخرين؟

الكتاب: ضمان مراعاتها في حق الجميع بشكل عادل وحقهم في التعامل مع الطرف الاخر في حال نقضه بما يستحقه الغادر بالعرف والقانون فمن إيجابيات أسلوب المعاهدة ان يكون اكثر تطمينا لكل طرف باتجاه هواجس الطرف الاخر دون توثيق المعاهدة تسهل المكيدة بين الطرفين ولذلك لا بد من تنظيم الحق مع الاخرين في الإسلام على سبيل المعاهدة العادلة التي يكون أساسها القيم الإنسانية, فان بناء الإسلام في حفظ الحرمات مع الاخرين على اساس المعاهدة لا يعني عدم وجود حرمات فطرية ينبغي مراعاتها في حد نفسها.

ان المعاهدة آلية لضمان حفظ الحرمات الفطرية من قبل الطرفين, وقد كرر وجوب الوفاء بالعهد وأداء الأمانة بآيات كثيرة من القرآن بل جعل الوفاء بالعهد من جملة الاخلاق الإلهية وقد طبق الدين هذه النظرة في شأن الالتزام مع الاخرين تماماً، فأكد على المسلمين الالتزام بعهودهم مع الاخرين.

ولقد كانت عناية النبي في الوفاء بالعهد وتجنب الغدر امرا عينيا ملحوظا في تعامله مع المشتركين والمنافقين, وكذلك كان الامام (عليه السلام) في كلام له في معاوية (مصدره: نهج البلاغة: ص/318): (والله ما معاوية بأدهى مني ولكنه يغدر ويفجر ولولا كراهية الغدر لكنت من ادهى الناس، ولكن كل غدرة فجرة, وكل فجرة كفرة, ولكل غادر لواء يعرف به يوم القيامة).

وقال (عليه السلام) في عهده لمالك الاشتر: (وان عقدت بينك وبين عدوك عقدة أو ألبسته منك ذمة فحط عهدك بالوفاء، وارع ذمتك بالامانة). وقال (عليه السلام) أيضاً: (أيها الناس، ان الوفاء توأم الصدق). وفي حديث للإمام الصادق (عليه السلام): (لا ينبغي للمسلمين ان يغدروا ولا يأمروا بالغدر ولا يقاتلوا مع الذين غدروا).

فالغدر بالآخرين بعد إعطاء الأمان وامنهم على انفسهم وغدر المسلمين بعضهم ببعض والغدر بمن تحالفوا معهم على ان يحمي بعضهم بعضا والغدر بالمعاهدة مع الجماعات والدول المجاورة المسالمة جميعها يعتبرها الإسلام قبحا وغدرا, وضرورة التمييز بين الشريعة وبين الفقه الاجتهادي والعمل السياسي من قبل الولاة بعد عصر النص او الاجتماعي من قبل عامة الناس فهناك ضرورة التفريق بين الشريعة والفقه الاجتهادي ولابد من التفريق بين الدين ورأي المجتهدين في الدين، فإن الاجتهاد في الدين يعتمد على ما يتيسر للفقيه من أدوات اجتهادية وعليه فلا يمكن ان يحتسب أي موقف اجتهادي يعتقد بمخالفته لمبادئ العدالة على انه يمثل الدين وخطوطه العريضة تمثيلاً تاماً.

وتعتبر بعض الحالات من قبيل التزاحم في الحقوق في مقام مراعاتها بمعنى ان هناك استحقاقات متعددة لا يمكن الإيفاء بجميعها كما لو توقف انقاذ غريق على الدخول في ملك الغير بغير اذنه لأجل انقاذ الغريق حيث لا يمكن الإيفاء بحق الغريق في إنقاذه وحق المالك في عدم التصرف في ملكه بغير اذن، ولا بد حينئذ من تقدير الأهم والمهم ومراعاة الأهم من الحقوق, فلكل من العدل والظلم مساحة مؤكدة واضحة وبينة ولكنهما يخفان تدريجيا ويمتدان في مساحتهما حتى يتجاوران فتكون الحدود المتجاورة منها خفيفة ومتشابهة فيحتاج تمييز الموقف العادل عن الظلم الى مقومات اكبر لا سبيل للحفاظ على الامن الا بالعمل وفق القواعد الحازمة السائدة .

الأعراف الدولية الجارية قد لا تكون المثلى في الموضوعات التي تعالجها، ولكنها هي الأدوات المتيسرة لحفظ الأمن العادل فليس هناك من محيص عن اتباعها في ظروفها رغم كونها مثالية بشكل مطلق.

ومن الأمور التي ينبغي الالتفات اليها هو أهمية الجوانب التاريخية في حال تأمل الانسان في حوادث هي جزء من الماضي أو في نصوص تاريخية مثل معالجة استحضار تلك الحوادث بشكل حي من اجل الإحاطة بجميع جوانب المشهد فان كثيرا من الجوانب ما تخفى بمرور الزمان .

وقد قامت الدولة في المدينة المنورة وفق ضوابط الحكم العادل لقد كانت منبثقة عن جمهورها راعية لمصالحهم غير مهددة لمن حولها ولم يكن انعقادها على أساس الغلبة والقهر والاكراه بل على أساس الاستجابة الطوعية للناس والتعاقد الاجتماعي بين الجمهور, أي تهديد لهذه الدولة لم يكن يستهدف التغلب على الحكم بل كان يستهدف تمام افرادها؛ لأنهم كانوا قد امنوا بعقيدة جديدة مغايرة للبيئة التي كانوا فيها.

إن تحقيق الانسان للأمن الاجتماعي فيما يتوقع على ضرب من العقل الاجتماعي بين الأشخاص المترابطين لحماية بعضهم البعض وفق ما توجبه الظروف الثقافية والاجتماعية والسياسية في المجتمع, فالنظام القبلي السائد في الجزيرة العربية كان مبنيا على نحو من الميثاق الاجتماعي الداخلي بين اهل القرية, اما الامن الداخلي تم توفيره فيما بين المسلمين انفسهم على أساس الاشتراك في الإسلام باعتبار ان الإسلام وثيقة اخوة بين المسلمين مما يقتضي عدم اعتداء بعضهم على بعض بل حمايته في مقابل الاخطار.

ولكن كان الكيان المسلم كيانا مهددا سواء من قبل الفئات غير المسلمة في الداخل او في خارج المدينة حتى الذين تعاقدوا معهم, لقد كان غير المسلمين ينظرون الى الكيان المسلم بنظرة غاضبة تعتبر الإسلام دينا مبتدعا يفترض بذل أي جهد ميسر لتشكيك اهله به من خلال الأساليب الخطابية والاحساسية.

ورغم ان الإسلام اظهر حججا معقولة وعقلانية وافية وفق مدرك عامة الناس في انه ليس دينا مبتدعا لغاية سياسية، وانما هو دين حق وفرصة نادرة اتاحها الله سبحانه وتعالى للإنسانية.

&&&

(11)

- الحذر والإحسان كيف يتسايران في جهة واحدة؟
الكتاب:- الحذر مع من يكيد بالمسلمين في داخل المجتمع الإسلامي، والإحسان الى الآخرين ممن لا يعادي المسلمين، ولا يسعى الى الإيقاع بهم، والنهي عن الاسترسال في المودة والركون الى الكفار الذي يكيدون بالمسلمين من أجل إيمانهم، ولو تمكنوا منهم تعاملوا معهم معاملة الأعداء، وتعدوا عليهم وأساءوا اليهم، وسعوا الى إعادتهم الى الكفر، فمن الضروري في هذه الظروف عدم الاسترسال في المودة والوثوق بهم والركون اليهم.
ويشير الله تعالى الى مظاهر الكيد من أهل الكتاب، فيوصي المسلمين بالعفو والصفح، كما يشير أيضاً الى فئة من غير المسلمين، يكيدون بالمساجد، ويمنعون ذكر الله فيها، ويتكرر ذكر اقوام يؤمنون بالله سبحانه تعالى ثم يكفرون، كما يذكر أيضاً سعي جماعة في ارجاع المؤمنين عن الدين بإظهار الايمان ثم الرجوع الى الكفر.
كما يحذر المؤمنين من الثقة بغيرهم فيما يتعلق بالدين، ويصف جماعة من المنافقين والكفار يتسللون بين المؤمنين ليكيدوا بهم، وذكر سبحانه تعالى عن مخادعة المنافقين بالنهي عن تولي الكفار على حياض المؤمنين، وكانت هذه الهواجس بطبيعة الحال هواجس وجودية للمجتمع المسلم، فكان هذا المجتمع الصغير قد نشأ حديثاً في بيئة معادية لها ساعية الى محوها، وهي تكافح وتجاهد من أجل البقاء والاستمرار والثبات وتجاوز التحديات المختلفة، ومع ذلك فإن التعامل مع غير أهل الدين والذين كانوا يعيشون في المجتمع، لم يتجاوز الحد المسموح بعد الالتفات الى الأخطار والمحاذير الحافة بها، بحسب ظروفها بل كان في كثير من أبعاده تعاملاً كريماً أدى الى دخول بعضهم تدريجيا في الإسلام، ربما رد المسلمون الذي كانوا يحتقرونهم ويكيدون بهم بالمثل بعض الشيء رعاية لحكم اجتماعية، من قبيل عدم الشعور لعامة المسلمين بالوهن في داخلهم، فيؤدي الى وهن اعتقادهم في الإسلام.
وبذلك يظهر أن التأصيل الإسلامي في التعامل الاجتماعي مع الآخرين هو الاحسان اليهم والعيش معهم، لا معاداتهم مع التوصية بأخذ الحذر ممن يكيدون بأهل الدين، ويسعى الى أن يضارهم ويصرفهم عن دينهم.
اذن، التحذير من الاسترسال في المودة مع غير المسلمين الذين هم على هذه الصفة، ولما كان ذلك موهماً للتعميم اتجاه كل غير المسلمين، استدرك سبحانه بتخصيص ذلك بالذين يكيدون بالمسلمين دون غيرهم، وهكذا نلاحظ أن التعاليم الدينية في الإسلام،

التي تضمنها القرآن الكريم تجاه غير المسلمين تعاليم واضحة وصريحة، فقد أبانت ثنائية العدل والاتفاق الثنائي، ولم تخف لزوم الحذر مع من يعادي المسلمين منهم ويكيد بهم، ويسعى ان يفتنهم في دينهم من غير أن تستبيح هدر حرماتهم، ما لم يهدروا هم حرمات المسلمين، ويلغوا الاتفاق المبرم بين الطرفين.

وأما من لا يصيب المسلمين بأذى، فقد حبذ التواد معهم بالإحسان والبر اليهم، وفي إيضاح الإسلام بهذه المبادئ كلها صدق بالغ، ابتعاد عن المراء والنفاق والازدواجية وما فيها من شوائب الغدر والخيانة والاغراء من اعمال يبغضها الإسلام للغاية، ولا يستبيح التعامل بها حتى مع الأعداء المحاربين معه صريحاً.

- كيفية تأمين الدولة المسلمة اتجاه الخطر الخارجي، وتعاملها مع القوى المهددة لها؟

الكتاب: بالنسبة الى تعامل المسلمين مع الدول والجماعات المتجاورة مع الدولة المسلمة فهو على العموم محكوم بقواعد السلم والحرب، وتختلف هذه القواعد باختلاف الأزمنة والأعراف العامة الحاكمة فيها بحسب اقتضاء التحديات، وان ممن الحقوق الفطرية لكل دولة مشروع توفير الأمن لنفسها، ومن يعيش فيها في مقابل التحديات والأخطار الحافة بها، وليس من المعقول مطالبتها بالتساهل في ذلك على اساس رعاية استحقاقات الكيانات الأخرى التي تهدد وجودها، وعليه يكون من المعقول أن تعمل الدولة المسلمة على وجه ضمن أمنها في مقابل الأخطار والتحديات المتوقعة وعلى هذا الأساس، ليس من المنطقي بأي مقياس أن يطالب المسلمون في التفريط في حفظ كيانهم وانفسهم في مقابل القوى المجاورة لهم..!

ان من حقوق الدولة هو حقها في مطالبة الدول والجماعات المجاورة، لاتفاق مشترك على عدم الاعتداء وهذا ما قدم عليه النبي (ص)، وفق وثيقة المدينة المعروفة، كما لها حق الدفاع عن النفس في مقابل الهجمات الوافدة عليها من القوى المجاورة ومن والاها، كما لها حق الرجوع الى البلاد الأصلية لمن هجر عنها على وجه الاضطهاد، ومن ثم كان يحق للنبي (ص) والمسلمين المهاجرين من مكة العودة اليها.

قد تؤدي هذه الحقوق الى تجويز سعي هذا الكيان الى إزالة كيان الدولة المعتدية أو العقيدة التي هي منطلق الاعتداء، من غير منافاة مع قواعد العدالة ولا سبيل الى الثقة بها والأمان معها والمعيشة بجوارها بملاحظة تصرفاتها وسلوكيتها واعتداءاتها، فلا تؤمن الدول مع محدودية أدوات الاستطلاع والقتال آنذاك، إلا اذا بقيت متأهبة للحرب مع جيرانها دائماً، فلا محيص من السعي لإزالة الكيان المعتدي في هكذا حالة.

وكذلك أن تنقض القوى المجاورة المعاهدة نقضاً مباغتاً، فتدبر المكيدة للدولة المشروعة وتتفق مع اعدائها، أن تمتنع بعض القوى من التزام السلم مع الدولة المشروعة ويصر على إزالة هذا الكيان الاعتقاد الذي يبنى عليه، أن يضهد ذلك الكيان فئة كبيرة من اهل البلد على أساس العقيدة –مثلاً- ويضطرهم الى الخروج منه، كما فعلت قريش ومن والها في مكة مع النبي (ص) ومن آمن به، حيث خلعتهم من عشائرهم واضطهدتهم حتى اضطروا للخروج الى المدينة؛ لأنهم آمنوا بالتوحيد وخرجوا عن الشرك الذي كان سائدا آنذاك، لذلك كان لهؤلاء المسلمين الحق أن يرجعوا الى مكة مسقط رأسهم، ويمارسوا الحرية في عقائدهم، وقد علم ان البيئة التي ظهر بها الإسلام كانت لا تستسيغ هذا الكيان الجديد؛ لكونه مبنياً على عقيدة جديدة، تسفه الاعتقاد الغالب وهو عقيدة الشرك، على القاطنين في الجزيرة، وكانت قريش خاصة ترى في نفسها أنها هي المعنية بإزالة هذا الكيان بتهذيبه لمصالحها.

- ما هي الأدوات المشروعة لإزالة الكيان الذي لا يمكن التعايش معه؟

الكتاب: لقد وجدت في الأزمنة السابقة اداوت سائدة، مثلت قواعد الحرب والسلم آنذاك، بما يشبه قواعد السلوك الدولي حالياً، فكان من الطبيعي ان يجري عليها كل من الطرفين كضوابط في الحرب والسلم والاشتباك، يشترك الطرفان في الإذعان بها، والعمل على وفقها، من هذه الأدوات إنهاء الجهة الحاكمة، ويكون المجتمع المحكوم لها تحت سلطة الجهة والمعتدى على كيانها، فلا يصحح هذا المقدار على هدم كيان المجتمع المفروض، وهذه الأداة كانت تستخدم فيما إذا كانت عمدة المشكلة كامنة في الجهة الحاكمة ذاتها وليس في المجتمع المحكوم لها، وعلى هذا الأساس جرى المسلمون في التعامل مع أهل الكتاب، حيث اكتفوا بالسيطرة على بيئتهم، ولم يبطلوا مشروعية اعتقادهم، ولا سعوا في انهاء كيان المجتمع نفسه بالقتل والأسر والتهجير، فقد يخرج على ذلك تعامل النبي (ص) مع المشركين بمكة بعد فتحها وانتهاء معاهدة الصلح معهم، فقد كان المشركون على اضطهاد المسلمين في وطنهم وفتنوهم عن دينهم بالقتل والتهديد الدائم ليلزموهم بالشرك، الذي كان هو العقيدة الحاكمة على الجزيرة العربية آنذاك، فاضطر المسلمون الى الهجرة عن ديارهم الى المدينة المنورة، ولكن مع ذلك لم يتركهم المشركون آمنين فيها، بل كانوا يغزونهم ويكيدون لهم ليطفئوا شعلة هذه العقيدة الجديدة، وبناء على ذلك مع اعتبارات اخرى كموضوع وبطلان هذه العقيدة، وعدم وجود حجة موجبة للشبهة فيها، ألغى النبي (صل الله عليه وآله وسلم) بشكل رسمي حق الاعتقاد بالشرك في مكة أو الجزيرة العربية عامة، وأناط العفو عن المشركين فيما اقترفوه في المدة السابقة في حق المسلمين، بإظهار الإسلام رفقا بهم، فاستجاب المشركون لذلك حفاظاً على وجودهم، وكانوا يعدون هذا التعامل من النبي (ص) تعاملاً كريماً.

&&